📜 موسوعة الطبيعة والفقه والأدب: قراءة شاملة في كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميري🐾

🌟مدخل: الكتاب الذي جمع علوم عصره بين دفتيه

لم يكن كتاب **»حياة الحيوان الكبرى «**للإمام **كمال الدين الدميري** مجرد معجم لعلم الحيوان (Zoology) بمفهومه البيولوجي الحديث؛ بل كان **ظاهرة موسوعية فريدة**، ومفخرة من مفاخر التراث العربي الإسلامي في القرن الثامن الهجري.

استطاع الدميري من خلال هذا السِّفر الخالد أن يصنع نقطة التقاء بديعة بين:

- 🔬**علم التاريخ الطبيعي** ووصف الكائنات.
- ⚖️**الفقه الإسلامي** وأحكام الحلال والحرام.
- 📖**علوم اللغة العربية** والمعاجم والأمثال.
- 🌿**الطب الشعبي والصيدلة** وخواص الأعضاء.
- 🔮**علم تعبير الرؤى والرموز التراثية**.

👤من هو مؤلف الكتاب؟ (الإمام الدميري(

ولد **كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري** سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤١م) وتوفي سنة (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).

- **نشأته** :ولد في القاهرة وتعود أصوله إلى قرية "دميرة" بمحافظة الدقهلية في مصر.
- **مسيرته العلمية** :بدأ حياته خياطاً، ثم انقطع لطلب العلم بالجامع الأزهر، حتى برع في الفقه الشافعي، والحديث، والتفسير، والأدب.

- **مكانته :**درّس في الأزهر وجامع ابن طولون والظاهرية، وكان زاهداً صوفياً، وعالماً متقناً، يُعد كتابه «حياة الحيوان الكبرى» أعظم إنجازاته العلمية وأشهرها في الآفاق.

🧭 منهج الكتاب وهيكليته الفريدة

رتب الدميري كتابه على **حروف المعجم (الترتيب الألفبائي)**، ليضم ما يزيد عن **1069مادة** من الحيوانات والطيور والحشرات والأسماك والكائنات الأسطورية.

ولم يكن يتناول الحيوان عشوائياً، بل وضع **منظومة سداسية العناصر** يتبعها غالباً في تناول كل كائن:

codeCode

```
┌──────────────────────────────────────────────────────────┐
│                                                          │
│                  هيكل المادة العلمية عند الدميري        │
│                                                          │
├──────────────────────────────────────────────────────────┤
│                                                          │
│  1  التحقيق اللغوي والاشتقاق والتسمية                    │
│  2  الوصف البيولوجي والطبائع والسلوكيات                 │
│  3  الحكم الشرعي الفقهي (الحل والحرمة والطهارة)         │
│  4  الأمثال العربية والأشعار الواردة فيه                │
│  5  الخواص الطبية والمنافع والمضار                      │
│  6  تعبير الرؤيا وتفسير ظهوره في المنام                 │
│                                                          │
└──────────────────────────────────────────────────────────┘
```

🔍 الأبعاد والمحاور الموسوعية للكتاب

---

1 البُعد اللغوي والأدبي 📚

- يغوص في فقه اللغة، موضحاً اسم الذكر، والأنثى، والصغير، وجمع الكلمة، ومترادفاتها.
- يسوق **الأمثال العربية** المشهورة المرتبطة بالحيوان (مثل: «*أجرأ من ليث*»، «*أروغ من ثعلب*»، «*أضل من ضب*»).
- يورد أروع ما قيل في الحيوان من أشعار العرب وقصائدهم، مما جعل الكتاب مرجعاً أدبياً لا يستغني عنه اللغوي.

---

2 البُعد الفقهي والشرعي ⚖️

باعتبار الدميري فقيهاً شافعياً رفيعاً، أفاض في الأحكام الشرعية لكل حيوان:

- هل يجوز أكله أم يحرم؟
- حكم الاقتناء والبيع والشراء.
- أحكام التذكية والذكاة الشرعية، وحكم ما يخرج منه (روثه، لبنه، جلده).
- مقارنة آراء المذاهب الفقهية الأربعة في المسألة الواحدة.

---

3 البُعد الطبي و«علم الخواص» 🩺

- اعتمد على تراث الطب القديم (جالينوس، وابن سينا، والرازي، والقزويني).
- يذكر فوائد أجزاء الحيوان في العلاج وصناعة الأدوية (كعلاج السموم، وأمراض العيون، والمفاصل، والجلد).

- جمع بين الطب التجريبي المتاح في عصره وتراث "الخواص والمنافع" الشعبية.

---

4 البُعد النفسي (تعبير الرؤى والأحلام)🌙

- خصص في نهاية كل مادة فقرة عما تدل عليه رؤية هذا الحيوان في المنام.
- استند إلى أئمة هذا العلم مثل :**محمد بن سيرين** و**عبد الغني النابلسي** و**الكرماني**.
- يحلل رمزية الحيوان؛ فالأسد سلطان جائر، والثعلب رجل غادر مكار، والنملة تدل على جند أو كثرة بركة.

---

5 الاستطرادات التاريخية والقصصية👑

من عجائب الكتاب أن الدميري يخرج أحياناً عن موضوع الحيوان ليقدم فصولاً تاريخية كاملة؛ فأثناء حديثه عن **»الإوز «**ولقبه، استطرد وكتب **تاريخاً كاملاً للخلافة الإسلامية** (الخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسيين، وصولاً إلى عصره)، وجاء هذا الاستطراد في عشرات الصفحات التي تُعد بذاتها كتاباً تاريخياً مستقلاً!

💎 ميزات وقيمة الكتاب في التراث الإنساني

الميزة	التفصيل
🌍**الشمول والتنوع**	جمع بين العلوم النقلية (القرآن، الحديث، الفقه) والعلوم العقلية والطبيعية.
🗂️**التنظيم الدقيق**	الترتيب المعجمي الألفبائي سهل الوصول للمعلومة على الباحثين في كل العصور.

تُرجم الكتاب إلى اللغات الأوروبية (خاصة الإنجليزية والفرنسية واللاتينية)، والتركية، والفارسية.	🌐 **العالمية والانتشار**
وصف سلوكيات دقيقة لبعض الحيوانات كالحشرات والطيور المهاجرة قبل ظهور علم الحيوان الحديث بقرون.	🔬 **ريادة علمية مبكرة**

⚖️ المآخذ والملاحظات النقدية على الكتاب

على الرغم من عظمة الموسوعة، إلا أن الباحثين والعلماء سجلوا بعض الملاحظات العلمية، أبرزها:

١. **إيراد الكائنات الخرافية :**مثل «العنقاء»، و«الرخ»، و«دابة الأرض»، والتعامل معها ضمن مواد المعجم كحقائق تراثية.

٢. **الاعتماد على المرويات الضعيفة :**تضمّن الكتاب بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات في قصص الحيوانات والأنبياء.

٣. **الخلط بين العلم والخرافة :**تسجيل بعض خواص الأعضاء السحرية أو غير المبررة علمياً التي كانت شائعة في ثقافة العصور الوسطى.

٤. **طول الاستطرادات :**خروجه عن السياق الحيواني إلى استطرادات تاريخية أو فقهية تشتت القارئ أحياناً.

📦 نسخ الكتاب ومختصراته

ألّف الدميري كتابه في ثلاث نسخ:

١. **الكبرى :**وهي الموسوعة المطبوعة المتداولة اليوم، وهي أغزرها علماً واستطراداً.

٢. **الوسطى :**نسخة متوسطة الحجم.

٣. **الصغرى :**مختصر مقتضب يركز على أسماء الحيوانات وأحكامها الفقهية.

💡**معلومة :**قام الإمام **جلال الدين السيوطي** باختصار هذا الكتاب في مصنف شهير سماه **»عين الحياة«**، كما لخّصه وهذّبه عدد كبير من علماء القرون اللاحقة.

🎯خاتمة

إن كتاب **»حياة الحيوان الكبرى «**ليس مجرد وثيقة عن الكائنات الحية التي عاشت في بيئة العرب؛ بل هو **مرآة للعقلية الموسوعية الإسلامية** في أوج نضجها، وكيف استطاع عالمٌ فقيه أن يرى في خلق الله وتنوع الحيوان باباً يجمع بين عبادة التأمل، ودقة الفقه، وعذوبة الأدب، ونفع الطب. إنه كتاب يستحق أن يُقرأ ويُعاد اكتشافه في ضوء الدراسات الحديثة.